

۱۹

سَاءَ نِسَاءً

أَمْ حَبِيبَتِي رَطَلَتْ بِذِي الْحَبِّ سَفِيكَ

الجزء الثاني

مَكَاتُهَا بَيْنَ نِسَاءِ النَّبِيِّ

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد

بريشة : أ. عبد الشافي سيد

إشراف : أ. حمدي مصطفى

الكتاب الأول في اللغة العربية



آن الأوان لكى تهاجر رملة بنت أبي سفيان والمسلمون  
إلى المدينة المنورة ، حيث كان المسلمون هناك يحتفلون  
بنصرهم المؤزر على اليهود في غزوة خيبر ، وودع  
النجاشي المسلمين الذين عاشوا في كنفه وتحت رعايته ،  
ينعمون بالأمن والأطمئنان ، وأوصاهم أن يقرئوا الرسول ﷺ  
السلام .

واستقبلت المدينة المنورة خبر رملة والمهاجرين من  
الحبشة بالبشر والترحاب ، وكان جعفر بن أبي طالب أميرا  
على هؤلاء المهاجرين ، وما إن رآه الرسول ﷺ حتى قام  
إليه بنفسه واحتضنه ثم قبل ما بين عينيه وقال فى سعادة :  
- واللّه ما أدرى بأيهما أفرح ؟ أبتح خيبر ؟ أم بقدوم  
جعفر ومن معه من المسلمين .

وضم الرسول ﷺ رملة بنت أبي سفيان إلى نسائه ،  
وأخذت تبوأ مكانها فى حياة النبي ﷺ يوما بعد يوم ،  
فهى امرأة جاهدت فى سبيل الله ، وصبرت على الابتلاء ،  
فكافأها الله ( تعالى ) بالزواج من رسول الله ﷺ .



كانت رَمْلَةٌ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ سَعِيدَةٌ بِزَوْاجِهَا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ ،  
واعتبرت هي وأهلها هذا الزواج تشريفاً لها ولقومها ،  
ورفعاً لأقدارهم ، غير أن أهم ما كان يؤرقها هو كفر أبيها  
الذي ربّاها وأنفق عليها ، وتصديه لزواجها ﷺ بكل  
ما أوتي من قوة .





وتمنّت رَمْلَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ الْمُعْجِزَةَ ، وَيُسَلِّمَ أَبُوهَا ، وَيَنْضِمَ  
إِلَى كَتِيبَةِ الْإِيمَانِ . . وهل ذلك على الله ببعيد ؟ ألم يسلم  
من قبل عمر بن الخطاب وكان من أشد الناس عداً للرسول ﷺ ؟  
فلم لا يفتح أبوها قلبه ، ويصغي لصوت الحق ؟

ولعل رَمْلَةٌ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ كَانَتْ تَرْجُو أَنْ تَكُونَ  
فِي مَكَانَةِ عَائِشَةَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَحَفْصَةَ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ  
الْخَطَّابِ ، بَعْدَ أَنْ صَارَتْ زَوْجَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأُمًّا لِلْمُؤْمِنِينَ ،  
وَلَكِنْ أَنَّى لَهَا ذَلِكَ ؟ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ قَدْ بَشَّرَهُمَا  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ ، أَمَا أَبُوهَا فَهُوَ مَا يَزَالُ عَلَى  
عِنَادِهِ وَكُفْرِهِ !

وَمَضَتْ الْأَيَّامُ مُسْرِعَةً ، وَرَمْلَةٌ تَعِيشُ فِي بَيْتِ النُّبُوَّةِ تَنْعَمُ  
بِرُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ وَتَحْظِي بِقُرْبِهِ ، وَكَانَتْ تَدْرِكُ بِحَسَبِهَا  
وَوَعْيِهَا أَنَّ الْمُوَاجَهَةَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ،  
وَأَنَّ زَوْجَهَا ﷺ سَيَخُوضُ حَرْبًا لَا هَوَادَةَ فِيهَا ضِدَّ أَبِيهَا  
وَالْمَشْرُكِينَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ .

وَأَكْثَتِ الْأَيَّامُ صِدْقَ حَدْسِ رَمْلَةٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) ، فَقَدْ



أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَصْحَابَهُ بِالِاسْتِعْدَادِ لِفَتْحِ مَكَّةَ ، بَعْدَ أَنْ  
نَقَضَ الْمُشْرِكُونَ الْعَهْدَ الَّذِي وَقَعُوهُ مَعَهُ فِي الْحَدِيثِ .  
وَعَلِمَ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ سَيَغْزِيهِمْ فِي جَيْشٍ  
كَبِيرٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ ، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يُرْسِلُوا أَحَدَهُمْ إِلَيْهِ  
لِكَيْ يَفَاوِضَهُ وَيَطْلُبَ مِنْهُ الصَّفْحَ وَالْعَفْوَ عَنْهُمْ ، وَاسْتَقَرَّ  
رَأْيُهُمْ عَلَى أَبِي سَفْيَانَ وَقَالُوا لَهُ :





- أَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ قُرَيْشٍ ، وَابْنُكَ عِنْدَ مُحَمَّدٍ ، وَإِنَّا لَنَرَاكَ  
أَجْدَرَنَا بِمِنَاقِشَةِ مُحَمَّدٍ وَالتَّفَاوُضِ مَعَهُ مِنْ أَجْلِ تَمْدِيدِ الصُّلْحِ .  
وَوَافِقَ أَبُو سُفْيَانَ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى  
مَضَضٍ ، فَقَدْ كَانَ لَا يَتَصَوَّرُ نَفْسَهُ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ مَعَهُ  
وَيَخَاطِبُهُ بَعْدَ هَذَا الصَّرَاعِ الطَّوِيلِ وَالْحُرُوبِ الضَّرُوسِ ،  
الَّتِي أَجَّجَ أَبُو سُفْيَانَ نِيرَانَهَا .  
وَتَسَلَّلَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى الْمَدِينَةِ خَفِيَّةً حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ ،  
وَقَالَ لِنَفْسِهِ :

- لَمْ لَا أَذْهَبُ إِلَى ابْنَتِي رَمْلَةَ فَقَدْ تَشَفَّعَ لِي عِنْدَ زَوْجِهَا  
وَتُسَهَّلَ عَلَيَّ الْأَمْرُ .

وَذَهَبَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى بَيْتِ ابْنَتِهِ رَمْلَةَ ، فَحَيَّاها وَاطْمَأَنَّ  
عَلَى أَحْوَالِهَا وَقَالَ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ :

- لَقَدْ جِئْتُ إِلَيْكَ لِكَيْ تَشْفَعِيَ لِي عِنْدَ زَوْجِكَ يَا ابْنَتِي ،  
فَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ يَنْوِي غَزْوَ مَكَّةَ وَأَهْلِهَا ، حَيْثُ أَهْلَكَ  
وَعَشِيرَتَكَ !

فَسَكَتَ رَمْلَةُ وَلَمْ تُجِبْهُ ، فَهِيَ تَعْرِفُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ ،



ما دام عزم على شيء فهو سيمضي إليه بإذن الله ، لأنه  
لا يتحرك عن أمره ، ولكنه يسير تبعاً لإرادة السماء .  
وهم أبو سفيان أن يجلس حتى يعود رسول الله ﷺ  
فيكلمه بنفسه ، ونظر في أرض الحجرة ، فوجد فراشا ،





فأراد أن يجلس عليه ، لكن ابنته أسرعَتْ وطوت الفراش قبل أن يصل إليه .

وتعجب أبو سفيان من صنيع ابنته ، وسألها في دهشة :

- يا ابنتي لم طويت الفراش عني ؟ هل رغبت بهذا الفراش عني ، أو أن هذا الفراش لا يليق بأبيك ؟  
فقلت رملة :

- ورب محمد ، ما رفعت هذا الفراش ، إلا لأنك رجل مشرك بالله ، فكيف آمنك على فراش يجلس عليه رسول الله ﷺ ؟

وأحس أبو سفيان بالحزن يعتصر قلبه فقال لابنته :  
- يا بنية ، لقد أصابك بعدى شر .  
فقلت في ثقة :

- بل أنت الذي أصابك الشر كله بكفرك بالله !

وخرج أبو سفيان من عندها حزينا حتى أتى النبي ﷺ فطلب منه أن يزيد مدة الهدنة ، فلم يرد عليه الرسول ﷺ بما يريحه .



فذهب أبو سفيان إلى أبي بكر الصديق فتوسَّلَ به لكي  
يكلم رسولَ الله ﷺ ، لكنَّ أبا بكرٍ رفض ذلك وقال :  
- ما أنا بفاعل .

ولمَّا يئس أبو سفيان من أبي بكرٍ ذهب إلى عمر بن  
الخطَّاب فكلَّمه ، لكنَّ عمر قال له :





- أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به .

( أى لو لم أجد إلا الحصى أو التراب لجاهدتكم به ) .  
وانطلق أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب ، فدخل عليه وقال له :

- يا علي ، إنك أقرب القوم بي رحماً ، وإنى جئت فى حاجة ، فلا أرجع كما جئت خائباً ، فاشفع لى إلى رسول الله ﷺ .

فقال علي بن أبي طالب :

- ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه .

وكانت فاطمة (رضى الله عنها) واقفةً معها ابنها الحسن ، فالتفت إليها أبو سفيان وقال لها :

- يا بنة محمد ، هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجرب بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟



فَقَالَتْ فَاطِمَةُ :

- وَاللَّهِ ، مَا بَلَغَ بَنِي هَذَا أَنَّ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَا يُجِيرُ

أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَلَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ الْأَمْرَ جَدًّا لَا هَزْلَ فِيهِ ، طَلَبَ مِنْ

عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ النَّصِيحَةَ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْعُودَةِ مِنْ حَيْثُ

جَاءَ ، وَأَنَّ يَنْتَظِرَ مَا سَوْفَ تَسْفِرُ عَنْهُ الْأَيَّامُ الْمُقْبِلَةُ ، فَعَادَ

أَبُو سُفْيَانَ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ فَشَلَ فِي مُحَاوَلَتِهِ ، وَأَخْبَرَ أَهْلَ

مَكَّةَ بِمَا حَدَثَ ، فَعَاشُوا فِي وَجَلٍ وَخَوْفٍ .





وعاد الرسول ﷺ إلى بيت زوجته رَمْلَةَ بنتِ  
أبي سفيان ، فأعلمها بأمر أبيها وما جاء من أجله ، فدعت  
للرسول ﷺ وللمسلمين بالفتح ، ثم قصت على رسول الله ﷺ  
ما صنعت مع أبيها حين أراد أن يجلس على فراشه ، فابتسم  
الرسول ﷺ ، ورضي بما صنعت ، وزادت مكانتها في قلب  
الرسول ﷺ وفي قلب كل مؤمن ومؤمنة .

وبقيت أم حبيبة رَمْلَةُ بنت أبي سفيان تدعو الله أن يهدي  
أباها إلى الإسلام ، وما ذلك على الله بعزيز ، وكلما تسلل  
اليأس في إيمان أبيها إلى قلبها كانت تتلو قوله ( تعالى ) :

﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم  
مودةً والله قديرٌ والله غفورٌ رحيمٌ ﴾ [سورة الممتحنة : ٧]

وقد نزلت هذه الآية حين تزوجها النبي ﷺ ، ولعل الله  
أن يكون قد أراد بأبيها وقومها خيراً .

ومرّت الأيام وفتح المسلمون مكة وحطّموا الأصنام  
الملتفة حول الكعبة ، وجاء أبو سفيان في حماية العباس عم  
النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ :



– وَيُحَكِّ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ ؟

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ :

– يَا أَبَتِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ! وَاللَّهِ

لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ غَيْرُهُ إِذْنٌ لَأُغْنِيَ عَنِّي شَيْئًا ،

وَلَكِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ !





فقال له النبي ﷺ :

- ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنني

رسول الله ؟

لكن أبا سفيان تردد في الإيمان برسالة محمد ﷺ في

أول الأمر ثم مالبث أن شرح الله صدره للإسلام ، وأراد

الرسول ﷺ أن يتألف قلبه فقال :

- من دخل دار أبي سفيان فهو آمن !

وعندئذ لم يعد في حياة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان

ما يعكر صفوها ، فقد آمن أبوها وقومها ، وضرب زوجها ﷺ

أروع مثل في السماحة والرحمة ، بعد أن عفا عن أهل مكة ،

وجعل لأبيها مكانة كبيرة إكراماً لها .

وعاشت رملة (رضي الله عنها) بعد وفاة الرسول ﷺ

وراحت تروى عنه ما سمعته من أحاديث ، وروى عنها كثير

من الصحابة .

وحين حضرتها الوفاة دعت إليها نساء النبي وراحت



تَطْلُبُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ أَنْ تُسَامِحَهَا لِكَيْ تَلْقَى اللَّهَ نَقِيَّةً

خَالِيَةً مِنَ الذُّنُوبِ فَقَالَتْ لِعَائِشَةَ :

— قَدْ كَانَ يَكُونُ بَيْنَنَا مَا يَكُونُ بَيْنَ الضَّرَائِرِ فَغَفَرَ اللَّهُ

لِي وَلَكَ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ :

- يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ .

فَسَعِدَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ وَقَالَتْ :

- سَرَّرَنِي سِرُّكَ اللَّهُ !

وَصَعِدَتْ رُوحُهَا الطَّاهِرَةُ إِلَى بَارِئِهَا فِي عَامِ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ

فِي خِلَافَةِ أَخِيهَا مُعَاوِيَةَ ، رَحِمَهَا اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً ، وَنَفَعْنَا

وَنَفَعَ أُمَّهَاتِنَا وَبَنَاتِنَا وَنِسَاءَنَا بِسِيرَتِهَا الْعُطْرَةِ !

( تَمَّتْ )

الكتاب القادم

ميمونة بنت الحارث الهلالية ( امرأة أحببت الله ورسوله )

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٧٣٢٦

التقديم العلوي : ٤ - ٧٦٦ - ٢٦٦ - ٩٧٧